القفص

فارغة أنا، وما فائدة المكان؟

الحرب سبقتني

وطردت الزمان عن الوجود

التقطت روائح الربيع وزجتها في قبري

ليمضي العمر دوني

في قفص بناه الموتى لكل حي

لا نوافذ سوى السماء

لا ماء سوى رشفات من المطر

لا موائد سوى دقيق غارق بالدماء

لا مهرب سوى باب موصد بآلاف الدولارات

ولا حُر هنا يكسر أغلالي

أو عائد من الموت يحل لي الأحجية

الحرب تجرفني

تُحلِق بي نحو جنازة بلا مشيعين

لأرحل كطير ريشه ملطخ بالأسى

والدموع تصرخ لا تنكروا عليّ الوداع للحظتين

وإني سأتلو وصيتي على الموتى

سأستحضر ضحكاتي لألقيها على الأحياء

ربما بإيناس يتمردوا على القبور

ليتعلموا كيف يبدو الحداد الملون

وينسوا المراثى الحزينة

ليستنسقوا صرخان الغربان

وينسوا صوت السندان

ليعلموا الأطفال الغناء

وينسوا لسعة الجوع وبرد الخيام

الحرب تطاردني

تسير بقوة على جرحي العتيق

تنهش ملامحي لأتساءل هل ستنمو أقدامي من جديد؟

وإن بُعثنا مرة أخرى

أطلبوا من الله ثمناً آخر للنعيم الأبدي

جوعوا عن كل يتيم

تعذبوا عن كل ثوري

ناموا بالشوارع عن كل مشرد

ولكن اياكم أن تنصبوا صنماً وتعبدوه

حينها لن يبقى لنا سوى غبار السجون

وإن أرادوا هبوهم رغماً عنا

نرجس البحر

هامات الصيادين

سَلَّات الفلاحين

القارئين والصلوات

ونصيبنا من الفردوس

ولكن لا تسمحوا لهم بأن يستعبدونا

سماء من الدموع

أشهد ولادتي

في أجمل بُعد من الغابة الكبرى

أحيا كفراشة

في صورة وحش يحمل عدوى الحرب

أكبر كأغنية

في مقبرة لا تكف عن التهام الأصوات

فوقي سماء من الدموع

حولي مدىً واسع يحاصرني وحدي

تحتي أرض ثمنها دمي وحاجز يأكل عمري

الموتُ ظلٌ لا يغادر مدينتي

يرتُب الأرواح في نعشٍ مجهول بلا وداع

يحول الإنسانية إلى زخارف من بخار

الأطفال هنا أبطالٌ نُزعت ألعابهم على عجل

ليتعلموا كيف يحملون البيت في حقيبةٍ واحدة

الرحيل لعنة عالقة في طيات جسدي

تسلب النور من حجراتي واحدة بعد الأخرى

تبتلع ذاكرتي عن شوارعٍ بنيتُ بها هويتي

الجنائن سفوح عالية من النار والتراب

ترغمني على العيش كرحالةٍ لا تسكنها الأماكن والقلوب

أدور بحثاً عن حياة باتت صور

أفتش في حكايات الشهداء عن معنى أو عزاء

فلا أجد سوى سلسلة من حزنٍ لا تحده حدود

أراقب الذين عاشوا طويلاً تحت الأقنعة

يوزعون العدل والحرية بما يشاؤون

جاعلون الفرح معركة لا يكسبها إلا من ولد فائزاً

جارة البحر

أفتح باباً من العمر المضني
أغادر دون أن أقول وداعاً كما ينبغي
أدفن مفتاح البيت في ثنايا الروح
ألقي أحلامي دفعة واحدة على الحاجز
وأمضي ولا أمضي ...

من اقتلع منا ملامح الفرح؟
من رشق النار على ذكرياتنا؟
من ألصق بنا الحسرة والضياع؟

أندثر في ثقب زمني وحدي
أعود إلى الوراء حيث النكبة الأولى
أمضي في تكرار يوم واحد من الشقاء
وأنجو ولا أنجو ...

من حول بيوتنا إلى مدافن ؟
من أوقف دوران الأرض في مدينتنا؟
من مزقنا وتركنا بلا ماضٍ ولا مستقبل؟

أكتب مشاهد الموت بذاكرتي
أسمح لأصوات الفاقدين بمطاردتي
أحصي القصص التي طعنت سَكِينتي
وأنسى ولا أنسى ...

من سلخ الإنسانية عنا؟

من سمح للهاوية أن تحدق فينا؟

من جعلنا بيادق في لعبة ليست عادلة؟

أحمل رائحة البحر تحت جلدي

أستدعي صورة كل شبر في المدينة

أبكي على كل شارع كتب سطراً من التاريخ

أتنفس القهر كما أتنفس ضبابية المصير

أهدهد نفسي قائلةً : يومين ثم نعود

وأحيا ولا أحيا ...

من جرد غزة من هويتها الفلسطينية؟

من حرم طيورنا من العودة في الربيع؟

من استحوذ على شاطىء جارة البحر بدلاً منا؟

أركض أنا والأسئلة بحثاً عن حكمة ما

أنزع ثوب الحنين عني كي يغادرني الألم

أعيش كترسٍ في طاحونة لا سيطرة لي عليها

وأصبر ولا أصبر ...